4- موسى الهادي : 169 170هـ 785-786م

هو ابو محمد موسى بن محمد المهدي ، ولد سنة سبع واربعين ومائة ، وامه ام ولد تعرف بالخيزران ، بويع له بالخلافة سنة تسع وخمسين ومائة وهو بجرجان وعمره اثنتان وعشرون سنة ولم يل الخلافة قبله في مثل سنه كان طويلاً جسيما أبيض ونقش خاتمه (بالله اثق)، كان يستطيب الشعر الجيد ويجيز عليه المال الوفير ، وجلس للمظالم وانصف الناس، ولاه ابوه العهد وهو في سن السادسة عشرة ، كما ولاه قيادة الجيوش في المشرق ، وقد فكر والده بتقديم ابنه هارون عليه بفعل ايثاره اياه، ومشاركة الخيزران له في محبته ، لولا ان المنية عاجلته ، وكان لبعض اركان الدولة ، بعد وفاة الهادي الاتجاه نفسه . وقد نشأ الهادي في جو مترف، غير أنه كان قوي البنية ، وكان يثب على الدابة وعليه درعان، وكان والده يدعوه بـ ريحانتي ، اتسم بالشهامة والخبرة المكتسبة بشؤون الملك ، لكن كان فيه غلظة وشراسة ، وعرف عنه حب الغناء فقرب ابراهيم الموصلي المغني العراقي المشهور وابنه اسحاق وكانت فترة حكم الخليفة موسى الهادي قصيرة ، حيث لم تتجاوز السنة وبضعة أشهر ، ولم يشاهد عليه في عصره الا ثلاثة حوادث الأولى هي موقفه من تدخل الحريم في السياسة ، والثانية هي محاولة عزل اخية هارون الرشيد عن ولاية العهد ، والثالثة هي موقعة فخ التي حدثت سنة 169هـ في الحجاز اما موقفه من تدخل الحريم في السياسة فقد بان واضحا منذ أن تسلم الخلافة ، فوجد المواكب تذهب وتجيء إلى دار امه الخيزران ، فازعجه هذا الأمر واقلقه كثيرا ولكن حبه لوالدته جعلته يكلمها بهدوء فطلب منها أن لا تتدخل بامور الملك لأن في هذا ما يضيع حقوق الدولة والناس ، ويفسح المجال لأحداث جسام قد تضر بالدولة مستقبلاً لكن الخيزران التي الفت التدخل والفت الوجوه يأتون ويطلبون ودها وأمرها ، ولم يرق لها هذا الطلب من الخليفة فظلت تمارس هذا الدور ، وازداد تدخلها بالسياسة ، أكثر من ذي قبل فتأمر باتخاذ ما تراه هي مناسبا ، والخليفة لا يعلم بما يجري ، واذا امر شيئاً لم ينفذ ، فلما لم يُجدِ هذا معها نهرها بقسوة وقال لها : ((ما هذه المواكب التي تغدو وتروح على بابك ، اما لك مغزل يشغلك أو مسبحة تلهيك ، والله ان وجدت احدا على بابك لأصادرن ماله ولأزهقن روحه ، ما للنساء والسياسة)) . وبعد هذه لم تتدخل الخيزران بالسياسة ، واقسمت ان لا تكلمه حتى توفي ، لكنه استسمحها في احد المرات فقال لها : ((وقد كنت أمرتك باشياء ونهيتك عن اخرى مما أوجبته سياسة الملك ، لا موجبات الشرع من برك ولم أكن بك عاقاً بل كنت لك صائناً وبراً واصلاً)) وجاء الرشيد فمارست دورها على أفضل وجه وقد حاول الهادي عزل اخيه هارون الرشيد، وتولية ابنه الصغير ، الا ان موقف البرامكة والخيزران ، اجهضا هذه العملية ، ويقال ان الهادي دفع حياته ثمنا لهذه المحاولة،اذ توفي سنة سبعين ومائة ، ودفن بقصره الذي بناه بعيساباذ، وكان عمره ثلاث وعشرين سنه.

5- هارون الرشيد : 170-193هـ/786-808م

هو ابو جعفر هارون بن محمد المهدي ، ولد بالري سنة خمسين ومائة ، وامه ام ولد هي الخيزران ، بويع له بالخلافة سنة مائة وسبعين ، وهو ابن تسع عشرة سنة . كان ابيضاً ونقش خاتمه(إلا اله الا الله) وخاتم آخر ((كن من الله على حذر)) ، كان يحج عاما ويغزو عاما ، واذا حج حج معه مائة فقيه ، واذا لم يحج أحج ثلاثمائة شخص ، بالنفقة المسابغة والكسوة الظاهرة ، كان لين الجانب اكرم الادباء والفقهاء والعلماء وكان يزورالصالحين وفتح الكتاتيب للايتام على نفقة الدولة. ويعد الرشيد من اوسع الخلفاء العباسيين شهرة ، وقد تجاوزت شهرته بلاد الشرق ، ووصلت الى الغرب ، حيث تناولها المجتمع الغربي ، بالتحليل والدراسة ، وحاول بعض ملوك اورب التقرب منه واكتساب مودته . كما امتزجت اخباره بقصص الخيال ، فهو سياسي بارع فيه عزم المنصور و علفه وأساليبه ، مع مرونة واضحة وسخاء بالمال والنفس الاصطفاء الناس ، شديد الاهتمام بشؤون الرعية، يطوف الاسواق ويخشى المجالس متنكرا، ليقف على احوال الناس ، شديد الاحساس ، حاد المزاج ، سريع التأثر ، يثور غضبا ويفرط في الانتقام ، وقد ترق عواطفه فيبكي ، ويظهر رحمة متناهية وعطفا كبيرا وكان الرشيد متدينا ورعا ، محافظا على التكاليف الشرعية ، متمسكا بنصوص الكتاب والسنة ، يصلي في اليوم مائة ركعة ، حج ماشيا ، ولم يحج خليفة ماشيا غيره ، ولم يهمل الحياة العائلية . يحب الشعر والأدب والفقه ،ويكرم الشعراء ، قرب الشعراء والمغنين والادباء والفقهاء وأكرمهم،شمع حركة التعريب ، ويبدو انه كان ذا ملكة ادبية وشعرية ، يكره المراء في الدين ، اتسمت جلساته الليلية بالمناقشات الفكرية الرفيعة. وكانت هذه الصور التي امتاز بها الرشيد ، ما هي الا انعكاس للعصر الذي عاش فيه ، إذ شكل عصر الرشيد عصر الثقافة والترف والعلم والادب والشعر والفكاهة والتفوق في اختيار السلع والبضائع، كما كانت بغداد في عصره ، كعبة رجال العلم والادب ، وتاريخ حياته لا يمثل تاريخ انسان ، بل تاريخ عصر بكامله

البرامكة :

يرجع البرامكة في نسبهم الى برمك ،وهو أحد سدنة ، معبد النوبهار في مدينة بلخ ،وعندما قامت الدعوة العباسية ، انتمى لها خالد بن برمك ، الذي كان أحد الدعاة السبعين في مدينة بلخ، وامتاز هذا الرجل بمقدرة ادارية ، بانت عليه في بداية الدولة العباسية، حيث تولى بعض المهام الادارية والمالية ، من خلال توليه لمنصب مسؤول ديوان الخراج، فبانت مقدرته الادارية والمالية ، فلفت اليه انظار الخليفة العباسي الأول ابو العباس،وتولى وزارة التنفيذ في عهد الخليفة أبو العباس ، بعد مقتل أبي سلمة الخلال ، وعمل مستشارا للمنصور ، بعد توليه الخلافة ، وبانت مقدرته في بناء

بغداد . لا تبين له ان كلفة نقل اللبن من ايوان كسرى ، هي أعلى من كلفة انتاجه في موقع العمل ، وفي عهد الخليفة المهدي تولى ولاية فارس سنة 163هـ / 780م قضبط امورها.وكان من ابرز اولاد خالد ، يحيى الذي لاتقل كفاءته عن أبيه ، فارتبط مع الرشيد وتولى الكتابة له، قبل توليه الخلافة ، وكان ليحيى بن خالد ولدان هما الفضل وجعفر ، وقد لعب البرامكة دورا واضحا في دعم الرشيد ووصوله الى الحكم ، ولما بويع الرشيد بالخلافة ، حفظ ليحيى فضله ، فقلده وزارته ومنحه صلاحيات واسعة جدا ، وقال له : ((قد قلدتك امر الرعية ، واخرجته من عنقي اليك ، فاحكم في ذلك بما ترى من الصواب ، واستعمل من رأيت ، واعزل من رأيت، وامض الأمور على ماترى)) فكانت الدواوين كلها بيده ، وكانت الكتب تصدر من ديوان الخراج باسمه، ولم تكن تصدر من قبل الا عن الخليفة نفسه ، واستطاع يحيى بمساعدة ولدية الفضل وجعفر، من ادارة الدولة العباسية مدة سبعة عشر عاما، وكان الفضل وهو اخو الرشيد بالرضاعة ، والذي عهد اليه الرشيد بتربية ابنه الأمين وتدريبه . كما ولاه الرشيد عددا من الولايات ، قد حقق تقدما ملموسا في إدارة تلك المناطق ، فاحبه الناس في خراسان بعدما اسقط عنهم دفاتر البقايا (الديون) . بموافقة مبدئية من الخليفة هارون الرشيد، وكانت هذه المبالغ التي تتضمنها دفاتر البقايا ، تقلق السكان وتقض مضاجعهم، كما حفر الفضل الترع والقنوات وبنى المساجد والزوايا ، فحسنت سيرته في اهل خراسان . اما جعفر فقد اختص بمنادمة الرشيد ، فكان لايفارقه في ليل أو نهار ، او سفر ، أو اقامة ، او حرب ، ام سلم . وقد خاف والده بما ستؤول اليه نتيجة هذه العلاقة الوثيقة جدا، مع الرشيد . كما تولى محمد بن خالد حجابة الرشيد ، اما موسى بن خالد فقد تولى بلاد الشام ، كما اشترك جعفر مع الخليفة الرشيد في النظر في المظالم ، وقلده الاشراف على دور الضرب، كما امر بكتابة اسم جعفر على الدراهم والدنانير ، وقلده المغرب وشمال افريقيا ، وتشير هذه المكانة التي وصل اليها البرامكة عن النفوذ الذي بلغوه ، فضلا عن أن الكثير من الموظفين الاداريين ، في مختلف وظائف الدولة ، كانوا من صنائعهم بحيث أن الرشيد بعد عزلهم ، كان يجد صعوبة بالغة ، في العثور على أي موظف ، لكي يعينه في أي منصب ، فيجده من اعوان البرامكة .

عزل البرامكة :

بعد هذه المكانة التي وصلها البرامكة ، في ادارة الدولة العباسية ، وتنفذهم الكبير هم واعوانهم، ومكانتهم عند الخيزران ، التي كانت بمثابة السد لهم ، الذي يقيهم كل مكروه، فقد كان يحيى لايصدر الا عن امر الخيزران في حياة المهدي والرشيد. وعندما توفيت الخيزران ذهب الدعم الذي كانت تقدمه لهم ، وفي نفس يوم وفاتها اخذ الرشيد الخاتم واعطاء للفضل بن الربيع بن يونس ، وقال له : ((اني اهم لك من الليل بشيء من التولية ، فتمنعني امي فاطيع أمرها)) بعد أن رجع الرشيد من

الحج في سنة 187هـ / 802م ووصل الى الانبار ، اوى الى فراشه مبكرا ، ثم دعا مسرور الخادم، وامره بضرب عنق جعفر ، وسجن بقية أفراد اسرة البرامكة ، وصادر اموالهم ، وكتب الى جميع الولاة والأقاليم بالقبض على انصارهم، وحذر الناس من ايوائهم والتعامل مع اعوانهم ، وهذا يدل على أن الخطة كانت مبينة ضدهم ، ولم تكن مفاجئة . ولم يعرف إلى الوقت الحاضر ، ماهي الاسباب والدوافع التي كانت تقف وراء هذا الاجراء الذي اتخذه الخليفة هارون الرشيد ، وظل المؤرخون يجيلون الآراء حول هذا الموضوع، ويضعون الاسباب والمبررات التي حدث بالرشيد إلى قتل جعفر ، وسجن البقية الباقية منهم . فقسم عزاه الى اسباب اقتصادية ، إذ أن البرامكة قد ضيقوا على الرشيد، حتى في مصاريفه ((ان ضياعهم ليس لولدي مثلها وتطيب نفسي لها)) ، وقسم آخر عزاه الى ازدياد نفوذ البرامكة ، وان الرشيد ، لم يمر بقصر أو ضيعة او بستان ، وسال عنه الا وقيل له هو للبرامكة ، وقسم أخر عزاه الى المناقشات التي كان يجريها البرامكة ، وكان قسم منها بطال مسألة الامامة والخلافة ، وهكذا فعلى اية حال فقد تخلص الرشيد من البرامكة وازدياد نفوذهم السياسي الذي جاوز حده في عهد الرشيد ، ووضع حدا لتدخلات الوزراء في سياسة الدولة العباسية .

الاوضاع الداخلية في عصر الرشيد :

منح الرشيد في بداية حكمه صلاحيات واسعة للوزراء والولاة ، وقد انعكس هذا الجراء على تفاقم نفوذ البعض من هؤلاء الوزراء أو الولاة ، مما ولد مشاكل للدولة فيما بعد، وكلفها الكثير من المشاكل والجهد والمال والرجال ، ففي بلاد الشام عادت الاضطرابات القبيلة والتنافس على الزعامات بين رؤساء القبائل فيها إلى حدوث مشكل ومنازعات ، اقتضت من الرشيد تغيير عدد من الولاة ، ففي عام 176هـ / 792 م ، انفجرت الأوضاع في مدينة دمشق ، واستمرت زهاء العامين، مما دفع الرشيد الى احداث تغييرات ادارية ، مست الولاة ، ولم يستتب الامن فيها ، الا بتولية موسى بن يحيى في عام 178هـ / 794م ، وجعفر بن يحيى في سنة 180هـ / 796م ، اللذين عملا على تهدئة الأمور في بلاد الشام .

الأوضاع في خراسان:

اما في خراسان، فقد أطلق الرشيد يد الولاة كما ذكرنا ذلك في إدارة الأعمال، ولم يتهمهم بشيء في تصرفاتهم ، حتى كانوا سببا في قيام حركات تمرد ضد الدولة ، وكان من بين ابرز ولاة خراسان

السيني الصيت علي بن عيسى بن ماهان ، الذي اثرى على حساب الناس في خراسان ، وكان سببا في زيارة الرشيد لهذا الاقليم، للاطلاع على الأوضاع فيه في سنة 187هـ / 802م ، لكن خيث علي بن عيسى، وسرعة تصديق الرشيد للوفود التي اعدها علي بن عيسى بن ماهان ، أوقعت الخليفة هارون الرشيد في وهم كاذب ، فقد قدم والي خراسان الهدايا العظيمة لمرافقي الرشيد، واطلعه على تقارير غير دقيقة بل كاذبة ، وقدم له وجوه من اهل خراسان كانوا من صنائعه ، لكي يمتدحوا سياسته، حتى رضي عنه الرشيد، ولكن سوء إدارة هذا الوالي واعوانه الذين زادوا الضرائب على الناس في خراسان مما اجج انتفاضة عارمة تزعمها رافع بن الليث بن نصر بن سيار ، ولم يستطع والي خراسان من القضاء عليها ، وقد دافع علي بن عيسى بن ماهان عن حكمه، وانكشف امره امام الرشيد، الذي تبين له زيف ادعاءات والي خراسان ، فاضطر الرشيد الي التوجه إلى خراسان لمعاينة اوضاعها وللاطلاع على حقيقة الأمور فيها . فعزل علي بن عيسى عنها ، وصادر أمواله واملاكه ، وولاها هرثمة بن اعين الخزاعي ، وأوصاه بانصاف السكان ومعاملتهم بالحسنى، فضبط هرثمة امورها واعاد الحق الى اهله ، ولكن بعد فوات الأوان ، وقد توفي الخليفة هارون الرشيد دون أن يظفر من رافع بشيء ، وكل ما استطاع الرشيد فعله في خراسان ، هو القاء القبض على ظافر بن الليث واعدامه في مدينة طوس (مشهد) ، قبيل وفاته بدقائق. وتحمل المأمون بعد ذلك مهمة تسوية امر الثورة سلميا ، حيث لم يستطع من القضاء عليه بالقوة العسكرية .

قيام امارة الاغالبة:

منذ قيام الدولة العباسية ، كانت سيطرتها على منطقة شمال افريقيا الاتتعدى حدود المدن والقصبات ، وقد رأينا عند الحديث عن الخوارج ، كيف ان الخوارج قد استطاعوا ان يؤسسوا دولة لهم في طرابلس في عهد المنصور ، وكيف ارسل المنصور حملتين الى شمال افريقيا ، بقصد ضبط الأمن فيها ، وكيف ان المهدي ايضا ، قد شغلته شمال افريقيا أيضا ، وبذل كل ما في وسعه من أجل ضبط أمورها، وكذلك فعل الرشيد ، حيث أبدل أكثر من وال في شمال افريقيا ، حتى استقر رأيه على ارسال هرثمة بن اعين الخزاعي في منطقة شمال افريقيا ، حيث ضبط أمورها، وحارب الخارجين على الدولة العباسية ، لكنه في أواخر عهده طلب اعفائه من ادارة شمال افريقيا فاعفاه الرشيد بناء على طلبه.وكان ابراهيم بن الاغلب بن سالم بن عقال التميمي (وكان جده احد زعماء الحملة الاحتياط التي ارسلها ابو جعفر المنصور الى شمال افريقيا ، واستقرت هذه الأسرة في شمال افريقيا) وكان يتولى ولاية الزاب في الجزائر اثناء حكم الرشيد . وكانت الدولة العباسية في كل سنة ترسل مبلغ اربعين الف دينار الى ولاية افريقية اعانة لها من مصر ، فطلب هذا العامل برسالة بعثها الى الخليفة هارون الرشيد، يطلب فيها أن يوليه هارون الرشيد الفريقية ، مقابل تنازله

عن الاعانة التي ترسلها مصر الى افريقية ، ويتعهد هو بارسال مائة الف دينار الى الخلافة العباسية في بغداد سنويا ، فاستشار الرشيد هرثمه بن اعين الخزاعي، في هذا الأمر، على اعتبار انه كان يتولى ولاية افريقية قبل ذلك ، فاشار هرثمة على الرشيد بقبول عرض ابراهيم بن الأغلب . فاصدر الرشيد امرا بتولية ابراهيم بن الاغلب على ولاية الفريقية ، وبهذا الأمر تأسست امارة الاغالبة ، والتي استمرت الى سنة 296هـ / 908م ، حيث اسقطتها الدولة الفاطمية في هذه السنة ، وقد استطاع ابراهيم بن الاغلب من التعامل مع الأمور في شمال افريقية، فضبط أمورها ، ونشط الزراعة فيها والصناعة وضبط الأمن ، فانتعش اقتصاد افريقية ، وازدهرت أمور الناس فيها ، وبدلا من شيوع الاضطرابات في المنطقة ساد الهدوء ، وانتعشت الحياة الفكرية والادبية ، وقصد الشعراء امراء هذه الدولة،قصدحهم ونيل صلاتهم.

ولاية العهد :

اعطى الرشيد ولاية العهد الى ابنائه الثلاثة الامين والمأمون والمؤتمن وكتب كتابا يقال ، انه علقه في جوف الكعبة ، ليضمن عدم نقضه من قبل الامين ، وقد اعطى كل منهم ولاية العهد في أوقات مختلفة (175 ، 183 186) ، حيث عهد للامين ثم للمأمون ثم للمؤتمن ، وهذا التقسيم والاسباب التي دعت اليه يشير إلى خطأ ارتكبه الرشيد في حق ابنائه وفي حق الدولة العباسية ، كما كان للكتاب الاخير الذي اصدره قبيل وفاته يحمل في طياته بوادر الحرب والانقسام بين ابناءه من بعده . وتوفي الرشيد بمدينة طوس (مشهد الحالية وتقع في جمهورية ايران الاسلامية) سنة ثلاث وتسعين ومائة